

القانون الروحي



لنيافة الحبر الجليل الأنبا سارافيم

القانون الروحي

إعداد

الأنبا سارافيم

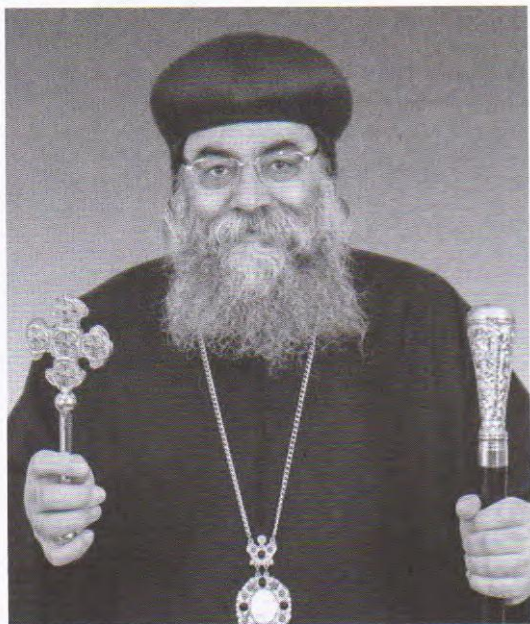
أسقف الإسماعيلية وتوابعها

اسم الكتاب: القانون الروحي
المؤلف: الأنبا سارافيم (أسقف الإسماعيلية وتوابعها)
رقم الإيداع: ١٤٣٠٠ / ٢٠١٠
الطبعة الثالثة: نوفمبر ٢٠١٤
المطبعة: برنتو برس - ت: ٢٤٩١٤١٢٤



صاحب الغبطة

البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني
بابا الأسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية



صاحب النياقة

الحبر الجليل الأنبا سارافيم

أسقف الإسماعيلية وتوابعها

القانون الروحي

٨	+ مقدمة.
١	١. معنى كلمة «قانون» وأهميته.
٩	٢. ما هو القانون الروحي.
٥	٣. أهداف القانون الروحي.
٩	٤. مرونة القانون الروحي.
٣	٥. القانون الروحي وحرية الإرادة.
١	٦. القانون الروحي والإحساس بالمسئولية.
٥	٧. النمو في القانون الروحي.
١	٨. القانون الروحي ومحاسبة النفس.
٥	٩. الحروب التي تواجه القانون الروحي:
٦	i- الشعور بالاستعباد.
٤	ii- الفتور والملل.
٥	iii- الكبرياء.
٦	iv- تضيق الوقت.
٠	v- الطياشة والسرطان.
٢	vi- الشطحات اليمينية.
٤	vii- الشعور بالتعب.
٦	viii- تغيير الهدف أو ضياعه.
٨	ix- إخفاء القانون.
٩	x- الإيذاء الجسدي.
٣	١٠- القانون الروحي عند مار إسحق السرياني

مقدمة

القوانين الروحية موضوع متسع ومتشعب. وهي ليست قاصرة على معناها الأولي، أي مجموعة الصلوات (بالأخص المزامير وصلاة يسوع) والميطانيات وقراءة الكتاب المقدس والكتب الروحية وممارسة سر الاعتراف والتناول من الأسرار المقدسة إلخ. الأمور التي يتفق عليها مع أب الاعتراف، ويلتزم بها الشخص ويتابع ممارساتها مع أبيه الروحي. هي كل ذلك وأكثر. ذلك أن الحياة الروحية لا يمكن تجزئتها أو فك مركباتها أو فصل معالمها.

لهذا فمن الصعب جداً أن نتناول الموضوع من كل جوانبه في كتيب كهذا. وخصوصاً أن ما يشغلنا في القوانين الروحية ليس فقط شكلها الخارجي أو عدد مرات ممارستها أو انضباط





أدائها، إنما الأهم جداً هو الروح التي نمارس بها هذه القوانين. فهي أولاً وأخيراً ممارسات روحية تقوية تخشعية تعبدية. وهدفها الأساسي هو التمتع بمحبة الله من خلال الوجود الدائم في حضرته. وبما أن مجال هذه القوانين روحي وليس مادياً، فهو متسع وشامل ويتأثر بأمور كثيرة لا بد من ملاحظتها. وهذا الكتيب ليس هدفه اقتراح عدد مرات معينة للممارسات الروحية، إنما هو محاولة لتوضيح بعض الجوانب الهامة في تأدية القوانين الروحية. أما التفاصيل والأرقام فهي متروكة للأب الروحي حسب قامة ابنه وظروفه. ومتروكة لخبرة الأب الروحي ونعمة الإفراز والإرشاد التي يعطيها له الرب. فالعمل عمل روحي حياتي اختباري في المقام الأول.

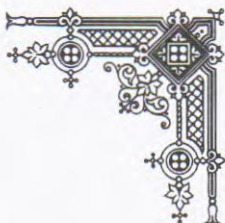
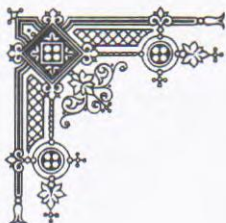


القوانين الروحية هي الأيقونة التي تتشكل فيها ملامحنا الروحية على شبه صورة الله ومثاله. وذلك على يد الله الخالق نفسه متى سلّمنا له أنفسنا. هذه الممارسات نضعها بين يدي الله لكي تقربنا إليه، وتوحد مشيئتنا مع مشيئته المقدسة. هي التدايب التي تؤهلنا بالنعمة لأن نصير أولادًا لله.

ليعطنا الرب نعمة في ممارسة هذه القوانين، وليكشف لنا بركاتها وأهميتها، وليقدنا بروحه القدوس طوال مسيرة حياتنا على الأرض. آمين.

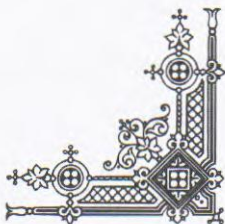
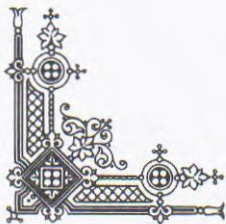
الأنبا سارافيم





(١)

معنى كلمة التدبير
أو القانون وأهميته



+ كلمة «التدبير» نجدها في الإنجليزية
Discipline، وفي اليونانية πολιτεία
(بوليتيا)، وفي السريانية المفرد Dubara
(دوبارا)، والجمع Dubare. ويُلاحظ
التقارب اللفظي بين العربية «تدبير»
والسريانية «دوبارا». والتي بالسريانية
تعني الإرشاد، السلوك، قانون الحياة
الشخصية، أسلوب الحياة؛ وترتبط هذه
الكلمة عادة بالدلالة النسكية. أما التعبير
اليوناني «بوليتيا» فيعني نفس المعنى في
الاستخدام الأبائي.

+ وهذه التدابير الروحية لها نظام ودرجات
ينبغي على الأب الروحي أن يقود ابنه
فيها بحذر وببطء وبحسب النظام المسلم
من الذين اختبروا هذه الأمور في حياتهم

الشخصية.

+ كلمة قانون تعني نظامًا. يقنن الشيء أي يجعله قانونيًا، أي مطابقًا لنظام متبع ومُعترف به. أي يضعه داخل الحدود التي تضبط أداؤه. جهادنا يجب أن يكون «قانونيًا» ؛ أي بحسب نظام معين معروف.

+ القوانين تُسمى «Rules» ومنها جاءت كلمة Ruler أي «مسطرة» أي أداة للقياس والضبط. فالقوانين الروحية تكون بمثابة مقياس نقيس عليه جهادنا وتقدمنا الروحي. كذلك جاءت منها كلمة Ruler بمعنى «الحاكم» الذي يحكم ويطبق القوانين. فالقانون الروحي هو الذي يحكم فيّ ويضبطني ويوجهني.



+ إذا، القوانين الروحية موضوعة لتسهيل
المسيرة الروحية، ولضمان نجاحها
والوصول بها إلى الهدف المنشود. والهدف
الرئيسي وراء هذه القوانين هو التمتع
بمحبة الله.

+ من هذا ندرك أهمية هذه القوانين
الروحية..

+ الجسد مثلاً فيه أعضاء كثيرة. وكل عضو
له نظام يؤدي به وظيفته. وإذا خرج عن
هذا النظام يُصاب بالمرض ويتعرض
للخطورة. مثلاً الغدة التي تفرز الهرمونات،
إذا هي لم تعمل أو أفرزت هرمونات أكثر
أو أقل مما يجب عليها، يتعرض الجسم
إلى أمراض مختلفة. وهناك علم اسمه
«الفسولوجي» يدرس وظائف الأعضاء



ونظام عملها الدقيق. لقد خلق الله كل
عضو ليقوم بمهمة معينة في منتهى الدقة،
ووضع فيه إمكانيات القيام بهذه المهمة.
هكذا وضع الله في الإنسان الذي خُلق
على صورته ومثاله، الإمكانيات الروحية
للقيام بالأعمال الروحية والممارسات
التعبدية والتمتع بعشرة الله.

+ كذلك الفلك والطبيعة والرياح والأمطار
وكل شيء، كل ذلك يسير بموجب قوانين
طبيعية محددة. ومتى خرجت هذه الأمور
عن قوانينها تتسبب في كوارث طبيعية
فظيعة، مثل الصواعق والبراكين والزوابع
والسيول والفيضاناتإلخ.

+ هذه القوانين يضعها إما خالق هذه
المخلوقات (أي الله) أو إذا كانت قوانين



من وضع البشر يضعها أناس لهم
سلطة التحكم في هذه القوانين ومعاينة
مخالفيها. مثلاً قوانين المرور، الضرائب،
المواريث، الأحوال الشخصية، والقوانين
الجنائية وخلافه. هذه القوانين تنظمها
الدولة لأجل تحقيق العدالة والمساواة،
وحتى يعيش الناس في أمن وسعادة
ورخاء.

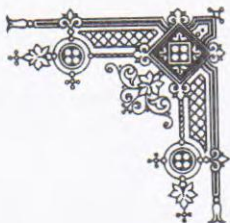
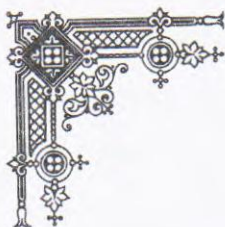
+ نستنتج من كل ذلك، أن كل شيء يجب أن
تضبطه قوانين معينة تهدف إلى تسهيل
أداء مهمته، حتى يحقق الهدف المنشود
منه. وأن أي شيء إذا خرج عن نظامه
وعن قانونه لابد وأن يفشل في أداء مهمته
بل ويتسبب في أضرار جسيمة لنفسه
وللآخرين.





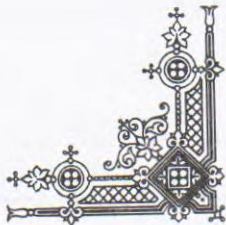
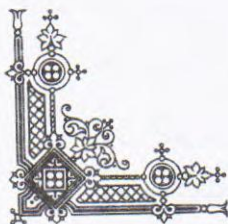
+ فإذا كان هذا الأمر بهذه الدقة، وبهذه
الخطورة، بالنسبة للأمور المادية، فكم وكم
تكون أهمية القوانين الروحية التي تضبط
سلوكنا الروحي والأخلاقي والأدبي.





(٢)

ما هو القانون الروحي



+ القوانين الروحية نظم تضبط حياتنا
الروحية، سلوكنا الروحي، والتزاماتنا
الروحية، تضبط مسيرتنا الروحية
كلها.

+ مثلاً هناك في الرهبنة قوانين تضبط
السلوك الرهباني، إن كان داخل مجمع
الرهبان أو في الحبس في القلاية، أو في
حياة الوحدة خارج الدير. هناك قوانين
للقدسين الأنبا باخوميوس والأنبا شنودة
والأنبا أنطونيوس والأنبا مكاريوس
والأنبا باسيليوس القيصري.. وغيرهم
كثيرين.

+ هذه القوانين الروحية كلها مبنية على
وصايا الكتاب المقدس. فهي ترجمة عملية
أو تطبيق عملي لهذه الوصايا الإنجيلية.



+ هذه القوانين وضعها قديسون جاهدوا في تطبيق وصايا الإنجيل. فجاءت نتيجة خبراتهم الطويلة، تحت إرشاد الروح القدس. لذلك ليس بالعجيب أن نجد تشابهاً بين هذه القوانين في مناطق مختلفة من العالم وعلى يد قديسين ربما لم يروا بعضهم البعض، وربما عاشوا في أجيال مختلفة.

+ هذه القوانين لم تُوضع بهوى البشر ولا نتيجة عمليات عقلية، ولا تتحكم فيها الأمزجة المختلفة، إنما هي أشبه بالتقليد المسلّم من واقع خبرة القديسين تحت إرشاد الروح القدس. ولقد انتقل بالتسليم من أب لآخر، وصاحبه شعور بالالتزام والجدية والإحساس بالمسئولية.



+ ولقد أمدنا الله، كما قلنا، بكل ما نحتاج إليه لقبول هذه الوصايا والفرح بها والقدرة على تطبيقها. لقد أعطانا الله الميول الحسنة والإرادة المقدسة والاشتياقات الإلهية والرجاء في الأبدية والتمتع بعشرته وأن نسعد بالوجود في حضرته.

+ لذلك عندما نحيا بحسب القوانين الروحية، فنحن نسلك بحسب ما ينبغي، ونكون في الوضع الآمن والمريح لنا، ونكون على الدرب الصحيح متجهين نحو الغاية الإلهية من خلقتنا: التمتع بالحياة مع المسيح. ويكون عكس ذلك هو الأمر غير الطبيعي والمقلق والخطر.

+ بالإضافة إلى ذلك نحن نحتاج إلى الثقة

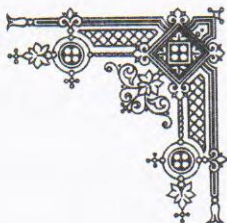
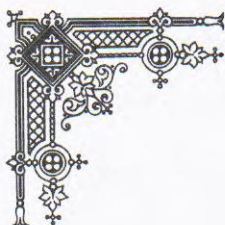


في نتائج هذه القوانين الروحية، وهذا يعتمد بالأكثر على الإيمان وليس على الأحاسيس البشرية. نحن نثق في القوانين العلمية أو المادية ونصدقها ونلتزم بها، مثلاً نثق في قانون الجاذبية فلا يتجرأ أحد أن يلقي بنفسه من مكان عالٍ خوفاً من الضرر، وكذلك لا يستطيع إنسان أن يتناول طعاماً فاسداً لمعرفته بضرر ذلك على صحته دون أن يجرب هذا الأمر.

+ القوانين الروحية ليست فقط بعض الممارسات الروحية من صلوات وميطانيات وأصوام وقراءة للكتاب المقدس، إنما توجد أيضاً قوانين تضبط الأفكار والأهداف والمبادئ والسلوكيات. فإذا خرج الفكر عن انضباطه نسميه «فكراً

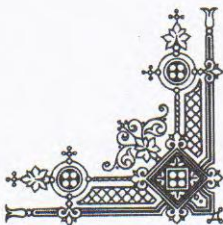
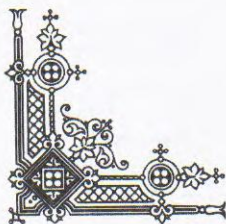
متطرفاً». وهناك جرائم فكرية، وأدبية،
وإعلامية، وأخلاقية.....الخ.

+ فإذا كانت هناك قوانين تضبط علاقة
الناس بعضهم ببعض، فكيف لا توجد
هناك قوانين تضبط علاقتي بالله؟! وإذا
كانت هناك قوانين تضبط السلوك الجسدي
والفكري والنفسي والأخلاقي... فكيف لا
توجد قوانين تضبط سلوكي الروحي وهو
الأهم جداً، إذ يتحكم في علاقتي بالله
وبالناس ويتحكم بالتالي في أبديتي؟!.



(٣)

أهداف القانون الروحي



أ- هدف القوانين الروحية هو مساعدتي
على تحقيق الهدف الأساسي من خلقتي
ووجودي. وهو التمتع بمحبة الله.

قوانين الرهينة أو التكريس تهدف أساساً
إلى الوصول بمن يلتزم بها بوعي روحي
إلى التمتع بمحبة الله ومحبة الناس. فهي
تضبط هذا الاتجاه وتساعدني على السلوك
فيه لتحقيق سعادتي الأبدية.

ب- القانون الروحي يكشف لي الطريق
الصحيح من الطريق الخاطئ. أي أنه
يساعدني على التمييز بين الخير والشر.
ويساعدني على السلوك في الطريق
الصحيح. هو بمثابة «الميزان» أمامي.
بدونه ربما أتعرض للضياع أو الضلال أو
التوهان. لذلك ينبغي أن أفرح لوجود هذه



القوانين التي توقظ ضميري كلما خرجت
عنها أو تكاسلت في الالتزام بها.

ج- بهذا تصير هذه القوانين الروحية بمثابة
بنود لمحاسبة النفس. بدون هذه البنود
كيف يحاسب الإنسان نفسه، وعلى أي
أساس؟! فهي تساعدني على مصالحة
نفسي ومصالحة الناس ومصالحة الله.

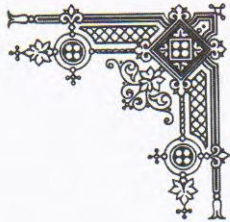
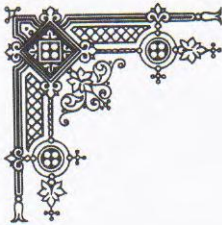
د- القانون الروحي يسد احتياجاً روحياً
داخل الإنسان. أي أنه يشبع روحي
ويرويهها. هو بمثابة الغذاء للروح.

هـ- القانون الروحي يحافظ على اللياقة
الروحية للإنسان. هو بمثابة التداريب
المستمرة على الأسلحة الروحية، ليكون
الإنسان مستعداً لأيّة حرب في أي وقت.

مثلاً من يريد أن يتقن رياضة أو عملاً أو العزف على آلة معينة لابد له في البداية أن يتدرب على هذا العمل حتى يتقنه فيصبح سهلاً ومتكرراً عنده.

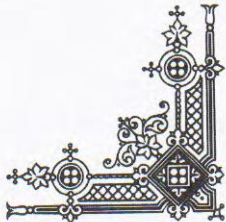
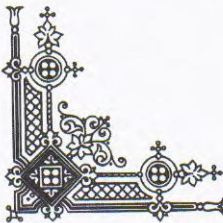
و- القانون الروحي هو «السلم» الذي يوصل إلى السماء.

ز- كذلك القوانين الروحية تعطيني مذاقة الحياة الأبدية، حيث يوجد الإنسان إلى الأبد في حضرة الله.



(٤)

مرونة القانون الروحي



+ القوانين المادية ربما تكون جامدة ولا تسمح بمرونة كبيرة. أما القوانين الروحية، فمع ضرورة الالتزام بها والتغصب على أدائها، إلا أنها تتمتع بمرونة معينة.

+ القانون الروحي وُضع لأجل الإنسان وليس الإنسان لأجل القانون.

+ القانون وسيلة وليس هدفاً في حد ذاته.

+ غير أن هذه المرونة تحتاج إلى يقظة وإلى روح الإفراز والإرشاد، لئلا تصير مدعاة للكسل والتراخي من ناحية أو للكبرياء من ناحية أخرى.

+ نحن نهتم جداً بروح القانون أكثر من حَرْفِيته. هذه الروح لا بد وأن تتمتع بمرونة معينة، لكيما تصير مفيدة للمسيرة



الروحية وليست معطلة لها.

+ الله يحاسب كل إنسان حسب ظروفه وإمكانياته ووزناته. ففي مثل الوزنات (مت ٢٥: ١٥) يقول إنه أعطى كل واحد «على قدر طاقته». هكذا القوانين الروحية لا بد أن تتواءم مع قامة الإنسان الروحية ومع ظروفه.

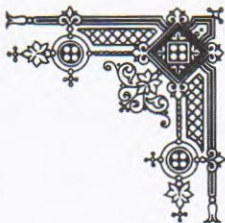
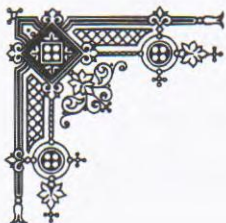
+ القوانين الروحية مثل الأدوية التي يعطيها الطبيب الحاذق بحسب المريض الذي أمامه. فمن المحتمل أن يتغير العلاج أو تتغير جرعاته بحسب ما يفيد المريض في علاجه.

+ هذه المرونة تساعد على الاستمرارية في أداء القانون رغم الظروف المتغيرة. شكل



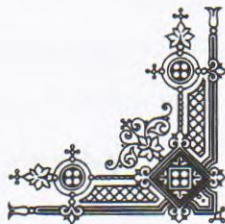
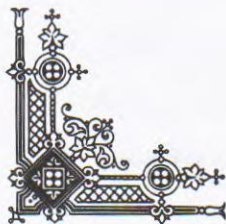
القانون أو جرعته ربما تتغير لكن الهدف
لا يتغير، وهو خلاص الإنسان والوصول
به إلى محبة الله.





(٥)

القانون الروحي وحرية الإرادة



+ هل القانون استعباد؟ هل هو فرض؟ هل

هو إلزام؟ هل هو واجب؟

+ كلا. هو نظام مهم ومفيد وضروري

لخلاص الإنسان.

+ بهذا يكون مفهوم التغصب في أداء

القانون هو أن أغضب إرادتي بحريتي

لتخضع لإرادة الله، لأن إرادة الله هي

دائمًا الصالحة والتي تسعى إلي خلاصي.

يقول الكتاب «ملكوت السموات يُغصب

والغاصبون يختطفونه» (مت ١١: ١٢).

+ الأب الروحي لا يلزم ابنه بأداء القانون

الروحي، ولا يغصبه على ذلك، إنما هو

ينصح ويوجه ويشجع ويقنع.



+ إذا يجب أن أؤدي القانون بحرية وبفرح
وبإقتناع. ومع ذلك لا بد أن أغضب نفسي
بحريتي، حتى أعتاد على هذه القوانين
وأمارسها بصورة أكثر سهولة وتلقائية.

+ يقول أحد القديسين: «الفضيلة لا تصنع قسراً».

+ لقد أعطى الله قانوناً (وصية) لآدم وحواء
وعرفهما مخاطر عدم الالتزام بذلك، ثم تركهما
لحريتهما الشخصية. كذلك فعل مع قايين.
إذا لا يوجد في المسيحية إجبار أو غضب أو
استعباد، إنما هناك حرية إرادة ولأن حرية
إرادتي ليست منسجمة حتى الآن مع إرادة الله،
فأنا أحتاج إلى تغضب وضغط حتى أحولها
في اتجاه إرادة الله الصالحة، لأن إرادة الله
هى أن «الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق
يقبلون» (إتي ٢: ٤).

+ أنا أغضب نفسي بإراداتي. كما أغضب نفسي على المذاكرة مثلاً، أو على عمل معين أو رياضة معينة ناظرًا إلى المكسب من وراء ذلك، هكذا أغضب نفسي على أداء هذه القوانين الروحية مقتنعًا بفائدتها وضرورتها لحياتي هنا على الأرض وهناك في الأبدية.

+ إحساس صعب جدًا أن يحس الإنسان أنه مستعبد (ولو ضميريًا) لأداء قوانين معينة مفروضة عليه. وكأن القانون سيد قاسٍ لا يرحم.

+ ولماذا لا أشعر بنفس الضيق تجاه قوانين المرور مثلاً. بل أقتنع بأهميتها وأمارسها برضا وحرص.



+ لذلك من المهم جداً أن نراجع أهداف القوانين الروحية، ونعرف أنها أهداف روحية لا تخضع للأحاسيس البشرية، وإلا سوف نتشكك فيها ولا نحرص على اقتنائها. وضوح الهدف الروحي من القانون يسهل على أداءه.

+ إذا القوانين الروحية تحتاج في الوقت نفسه إلى الالتزام بها والتغصب في ذلك، بجانب المرونة الروحية، وبجانب حرية الإرادة في الأداء.

+ أنا مقتنع أنني أغضب نفسي على ما يفيدني وما هو ضروري جداً لخلاصي. لا يوجد في القوانين الروحية ما يضرني أو يؤذيني أو يعطلني... فلماذا أتضايق منها؟!.

+ الحرية هي اختياري أنا المبني على
قناعاتي وخبرتي وراحتي. فأنا أستطيع،
بنعمة الرب، أن أوجه حرיתי بإرادتي،
وأن أوجه إرادتي بحرיתי.

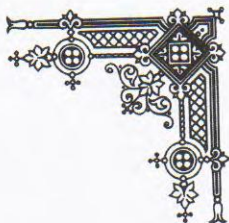
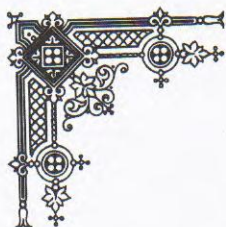
+ الحياة الروحية ليست مجالاً للمجازفات
أو ضربات الحظ أو التجارب العشوائية.

+ والضرر الناتج عن عدم الالتزام بالقانون
الروحي ليس غضباً من الله أو انتقاماً منه
لعدم سماع كلامه (كما يظن البعض)، إنما
هو نتيجة طبيعية لعدم التزامي بما هو
مفيد لي. مثل الطالب الذي لا يذاكر فتكون
النتيجة الطبيعية أنه يرسب في الامتحان.
فالإنسان يضر نفسه بنفسه.



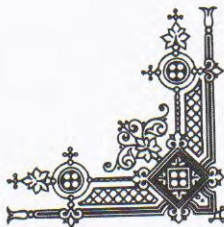
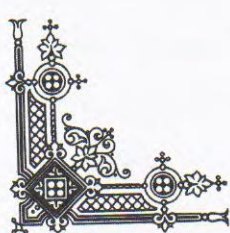
+ الإنسان في حياته اليومية لا بد وأن
يغصب نفسه على أمور كثيرة لمنفعته،
مثلاً على تناول الطعام في أوقات معينة،
أو تناول الدواء حتى ولو ضد رغبته،
فلماذا لا يغصب نفسه على ما هو رוחي
وضروري لخلاصه وأبديته؟!.





(٦)

القانون الروحي والإحساس بالمسئولية



+ بجانب الحرية في أداء القانون الروحي لا بد وأن يكون هناك إحساس بالمسئولية أيضًا. لأن كل حرية لابد وأن تحمل مسئولية (النجاح أو الفشل). «كنت أمينًا على القليل أقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥: ٢١).

+ هذا الاحساس بالمسئولية عن خلاص نفسي وعن أبديتي ونقاوة قلبي وأن أكون قدوة أمام الآخرين يسهل عليّ أداء قانوني الروحي. بل وهناك مسئولية أيضًا في تسليم هذه القوانين للآخرين كما تسلمتها أنا ممن هم أكبر مني. وبذلك تستمر خبرة الآباء القديسين عبر الأجيال.

+ هناك مثلاً الإحساس بالمسئولية في



الالتزام بقوانين المرور، حتى ولو لم يرني الشرطي. هو اقتناع بأن هذا الالتزام مفيد وضروري لسلامتي وسلامة الآخرين.

+ فمجرد وجود القانون هذا يشكل قاعدة للحساب بمقتضاه.

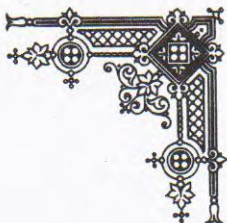
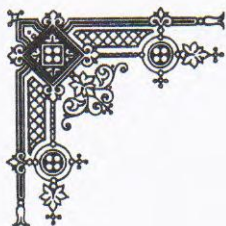
+ القانون إذا موضوع لاجتياز محنة الاختيار، ولتسهيل المهمة على الإنسان متى يلتزم به.

+ بالعكس، كان يحق للإنسان أن يتذمر وأن يخاف على نفسه إذا لم يكن لديه قانون روحي يسير عليه. فكيف يعرف الصواب من الخطأ؟ كيف يعرف ما إذا كان يسلك بصورة ترضي الله أم لا؟ .

+ القانون إذا يضع على عاتقي مسؤولية

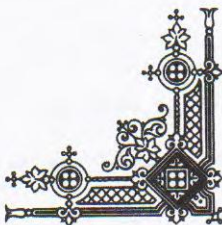
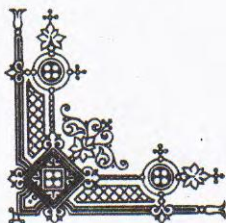
الحفاظ عليه والسلوك بموجبه، وتسليمه
للآخرين أيضًا.





(٧)

النمو في القانون الروحي



+ طالما أن القانون الروحي يتعامل مع الروح، لابد وأن تكون له درجات ومستويات مختلفة.

+ ربما تكون قوانين الطبيعة مثلاً ليست لها درجات متفاوتة، أو إنها تخضع لنظم جامدة غير متطورة ولا تختلف كثيراً من مكان لآخر.

+ أما القانون الروحي فلا بد وأن يكون فيه نمو وتدرج. وهو يختلف من إنسان لآخر. ويختلف عند الإنسان الواحد من فترة إلى فترة، وتتحكم فيه عوامل كثيرة.

+ كما أن هذا النمو لا يكون فقط في الكم، إنما الأهم هو النمو في الكيف، أي في الأسلوب الذي أمارس به القانون: نمو



في العمق وفي المفاهيم وفي الخبرة.
يقول معلمنا بولس الرسول: «لما كنت
طفلاً كطفل كنت أتكلم وكطفل كنت أفطن
وكطفل كنت أفكر ولكن لما صرت رجلاً
أبطلت ما للطفل» (١كو ١٣: ١١).

+ القوانين الروحية هي بمثابة الغذاء للروح
أو هي تدريبات روحية. لذلك لابد وأنها
تنمو وتتدرج كلما نما الإنسان. قيل عن
السيد المسيح، إنه من الناحية الناسوتية
كان «يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة
عند الله والناس» (لو ٢: ٥٢).

+ نحن مطالبون بالكمال النسبي كبشر،
وبالقداسة التي تصل إلى قامة ملء
المسيح، إذا لابد وأن ننمو في تداريبنا
الروحية باستمرار. لذلك فهي السلم الذي

نصعد عليه تدريجياً إلى قامات روحية
أسمى.

+ لهذا نجد أن هناك قوانين «للمبتدئين»،
وقوانين «للمتوسطين»، وقوانين
«للمتقدمين أو البالغين» الذين يقول عنهم
معلمنا بولس إنهم «بسبب التمرن صارت
لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير
والشر» (عب ٥: ١٤).

+ هذا النمو معناه أننا نتقدم باستمرار نحو
الهدف الأساسي من القوانين الروحية،
أي معرفة الله والتمتع بالوجود الدائم في
حضرته.

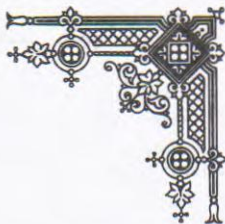
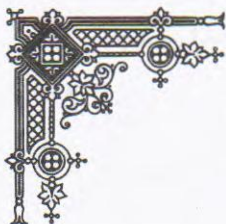
+ يقول السيد المسيح إن « في بيت أبي
منازل كثيرة » (يو ١٣: ٢) ويقول بولس



الرسول «لأن نجمًا يمتاز عن نجم في
المجد» (١كو ١٥: ٤١)، فلنجتهد في سعيينا
الروحي بسهر وجدية والتزام.

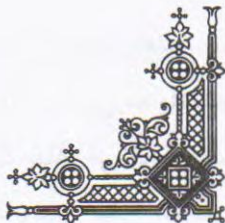
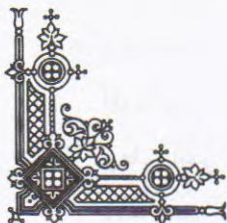
+ وكلما نما الإنسان في قامته الروحية
يُفسح أمامه المجال بصورة أوسع
لممارسة الحرية الروحية في أداء قوانينه.





(٨)

القانون الروحي ومحاسبة النفس



+ بنود القانون الروحي هي المادة التي
يجب أن أحاسب نفسي عليها.

+ ويجب أن أحاسب نفسي على كيفية أداء
القوانين، وليس فقط على الكمية. أحاسب
نفسي على روحانية القانون لا على
حرفيته.

+ فلربما أكتشف أخطاء روحية وراء عدم
التزامي بالقانون. مثلاً: الكسل، محبة
الذات، أحلام اليقظة، الغرور، شهوات
معينة، روح الإدانة الخ.

+ وعندما أقدم توبة على إهمال القانون، إنما
أقدم توبة على ضعف محبتي لله وللناس،
وعلى أنني تسببت بذلك في أذية نفسي
وتعرضها للخطر، وليس على تقصيري

في إنجاز أعداد معينة من الممارسات
القانونية.

+ يجب أن أعرف أن القانون الروحي حصن
حصين أمام هجمات الشيطان، وأنه سلاح
فتاك في مواجهة العدو، وأنه الدواء الذي
يعالج الكثير من الأمراض الروحية.
لذلك فإهمالي في أداء القانون الروحي
يعرضني للخطر.

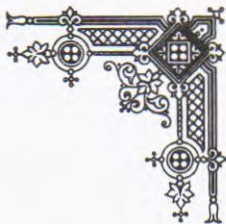
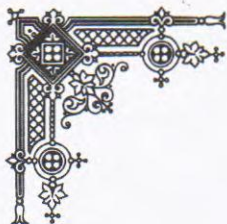
+ أراجع نفسي على قوانين الطاعة، المحبة،
الصمت، العفة، عدم محبة القنية، الاتضاع،
والاحتمال.... الخ. وليس فقط على قوانين
الصلاة والصوم والإنجيل والميطنيات.

+ أراجع نفسي على قوانين الرحمة والستر
والحنو وعدم العثرة؛ على قوانين الأفعال

وردود الأفعال؛ على الوسيلة والهدف.

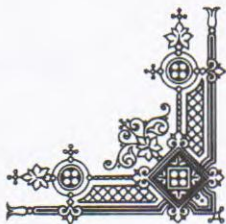
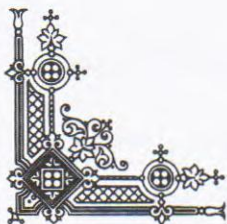
+ في الرهبنة تُسمى جميع الأعمال الديرية
«قوانين الطاعة».





(٩)

الحروب التي تواجه القانون الروحي



+ يحاول إبليس، وبكل وسيلة ممكنة، وبكل عناد وشراسة، إما إلى يدفعني إلى:

• تأجيل القانون.

• تعطيل القانون.

• تغيير الهدف من أداء القانون.

+ وهذا يوضح لنا إلى أي مدى يخاف إبليس من أداء هذه القوانين الروحية، مهما كانت بسيطة. فهي السلاح الذي نهزم به أعداءنا.

أ- حرب الاستعباد للقانون:

+ يحاول إبليس أن يوهم الإنسان بأن خضوعه للقانون الروحي هو استعباد لأمور يفرضها عليه آخرون. وذلك بحجة





أنه لم يضع هذه القوانين بنفسه، فلماذا
يخضع لها أو يلتزم بها؟!.

+ هذه حرب تضليل من الشيطان، وهي تفتقر
إلى الصدق وإلى المنطق، لأنه بالطبيعة لا
يوجد إنسان يستطيع أن يغضب إنساناً
آخر على عمل شيء ضد إرادته.

+ الأب الروحي يقدم لي هذه القوانين
ولا يفرضها عليّ. مثل الروشة التي
يكتبها الطبيب للمريض ولا يغضبه على
تناولها.

+ نحن نمارس قوانيننا الروحية بوعي
روحي، وبحرية شخصية، لأننا لا «نجهل
أفكار العدو» (٢كو ٢: ١١) ونعرف من أين
تأتي الحروب، ومن أين تأتي السقطات.

لذلك يحتاج القانون إلى مثابرة وصبر
وتغصب.

+ والذي يحتج ويقول «أنا لن أستعبد نفسي
لقوانين» هو قد صار دون أن يدرك،
مستعبداً لذاته وللذاته.

+ ولنا درس في ذلك في مثل الابن الضال،
الذي شعر بأنه مستعبد ومقيد في بيت
أبيه، وطلب الانطلاق بعيداً ليمارس حريته
الشخصية الموهومة. ماذا كانت النتيجة؟!
أنه صار عبداً للناس وصار يرعى الخنازير
ويشتهي أن يملأ بطنه من طعامها ولم
يعطه أحد. عندئذ أدرك أن الشيطان خدعه
بأوهام كاذبة، وطلب الرجوع إلى أبيه.

+ ثم لماذا يخضع الإنسان لكل قوانين

الطبيعة والجسد وخلافه، برضا وفرح، ولا يشعر أنه مستعبد لها، أما القوانين الروحية فيتشكك فيها ويجد صعوبة في الالتزام بها.

+ إذا حاربني العدو بأنني عبد للقانون، أقول له: اذهب عني يا شيطان. فللرب وحده أسجد وإياه وحده أعبد (مت ٤: ١٠).

+ ثم ما هو الضرر الذي يصيبني من أداء القوانين الروحية؟! ما هي الخسارة؟! وماذا يضيرني إذا غصبت نفسي على ما يفيدني ويُعد مكسباً لي؟! وهل في كل أمور حياتي الأخرى (مثلاً العلم، الطعام، العلاج....) أنا أضع القوانين التي أخضع لها؟ طبعاً لا.

+ هل أنا أحتاج إلى من يقنعني أو يرغّبني



في الوقوف أمام الله في الصلاة، أو مطالعة كلامه في الإنجيل المقدس؟! هل أنا أحتاج إلى هذا التغصب عند مقابلة رئيسي في العمل أو أية شخصية كبيرة؟! من منا يستحق أن يقف في حضرة الله ويخاطبه؟! من منا يستحق أن يدخل بيت الله ويتناول جسده ودمه الأقدس؟! من منا يستحق أن يطلع على كلام الله في إنجيله المقدس؟!

+ لماذا لا نشعر أن هذه القوانين الروحية إنما هي بركة كبيرة لنا، فنحرص على أدائها بكل قلوبنا وبشوق وفرح ولهفة؟! إنها حرب إبليس المخادع الكذاب، الذي يعرف قوة هذه القوانين ضده، وأنها حصن وسلاح ودواء في يد كل مؤمن



مجاهد فيحاول بكل الطرق تعطيل هذه القوانين.

+ هناك فرق كبير بين التغصب والاستعباد. فالتغصب عمل إرادي، والاستعباد عمل إجباري.

+ الصعوبة كلها تكمن في أنني لم أصل بعد إلى قطع مشيئتي والتسليم الكامل لإرادة الله. لم أقل بعد مع المسيح «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لوقا ٢٢: ٤٢).

+ القديسون تغصبوا في البداية إلى أن صارت هذه القوانين أهم شيء في حياتهم كلها ولا يستطيعون التغاضي عنها أو التقصير فيها. صاروا يمارسونها بلذة ويفرح وبشوق، وصاروا يفضلونها على



أي شيء آخر. كل من يتعب يحصد ومن
يصبر ينال بركة.

+ يقال إن سر قوة البابا كيرلس السادس
كان يكمن في التزامه بقوانينه الروحية:
الأجبية، الإنجيل، التسبحة، العشية،
القداس، والمواظبة على ذلك يوميًا
لسنوات عديدة.

+ كما أن المعروف عن الأنبا دانيال مطران
الخرطوم المتنيح انه لم يكن يقصر أبدًا في
قوانينه الروحية مهما كانت الأسباب أو
الظروف ولا حتى ليوم واحد.

+ وكذلك كان المتنيح الأنبا مكسيموس
مطران القليوبية أثناء زيارته لأي دير،
يستأذن من الذين حوله، ويدخل أية قلاية



ليؤدي صلواته في ميعادها، ثم يخرج مرة أخرى.

+ أكثر ما يربع الشياطين هو التزامنا بقوانيننا الروحية. هو يعلم أنها حصن وسلاح وعزاء لنا. يقول القديسون إن أداء القانون، حتى ولو لم ندرك نحن قوته، هو مرعب للشياطين.

+ ويقول الآباء إننا لو لم نُصلِّ إلا حينما نرغب أن نصلي، فلن نصلي مطلقاً. لا بد وأن نعصب ذواتنا في البداية على كل شيء، حتى نعتاده ونحبه.

+ إن الإلتزام بأداء القوانين يشبه الجندي الذي يواظب على أداء تدريباته كل يوم، حتى في وقت السلم، لكيما يكون مستعداً في وقت الحرب.

ب- حرب الفتور والملل :

+ هذه حرب تصيب الكثيرين، إن لم يكن الجميع. يشعر فيها الإنسان بضيق وبرودة وعدم رغبة في الاستمرار، وربما يلجأ إلى السرعة لإنهاء القانون.

+ لكن ينصح القديسون بالاستمرار على قدر المستطاع. وذلك بحسب قانون «شيء أفضل من لا شيء». وربما يعتبر التغصب في هذه الأوقات بمثابة ذبيحة مقبولة أمام الله. «مقدمين أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله: عبادتكم العقلية» (رو ١٢: ١).

+ هذه الفترات ربما تزرع الاتضاع داخل الإنسان، وتعلمه المثابرة واللجاجة في



الصلاة. المهم أن لا يسترخي الإنسان وأن يحاول أن يرجع لقوانينه الروحية ولو بالتدريج.

+ يحتاج الإنسان في هذه الفترات لأن يقترب أكثر من أبيه الروحي لكي يشجعه ويسنده وربما يغير له في بعض القوانين أو يستبدلها بقوانين أخرى.

ج- الكبرياء :

+ ونرى مثالاً لذلك في مثل الفريسي والعشار (لوقا ١٨ : ٩-١٤). الرجل الفريسي كان محافظاً على بعض القوانين الروحية من صلاة وصوم وتقديم عشور ... لكنه كان باراً في عيني نفسه ويحتقر الآخرين، فلم يخرج مبرراً من الهيكل.



+ يقول الكتاب المقدس إننا إذا عملنا كل
البر يجب أن نقول إننا عبيد بطلون
(لو ١٧: ١٠). فلماذا الكبرياء؟ وأي فضل
لي في ممارسة القوانين الروحية؟ أليس
ذلك هو أقل ما يجب على؟! ألسنت مقصرًا
مهما كنت مجتهدًا بالنسبة لأناس آخرين
أفضل مني؟!

د- تضييع الوقت :

+ الشيطان يدفعنا لقضاء الوقت في أي
شيء حتى لا يبقى لنا وقت لأداء القوانين
الروحية.

+ نستطيع أن نسميها «حرب التأجيل». وهذا
التأجيل لا ينتهي أبدًا. شعاره «حاضر بس
مش دلوقتي». و«دلوقتي» هذه لن تأتي أبدًا.



+ يا ليتنا نتعلم أن نعطي الأولوية في الوقت
للقوانين الروحية، ثم بعد ذلك نهتم بباقي
الأمور. لأنه «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح
العالم كله وخسر نفسه؟» (مت ١٦: ٢٦).

+ أي شيء أهم من لقاء الله والحديث معه
والاطلاع على كلامه والسجود أمامه
والذهاب إلى بيته وتناول جسده ودمه
الأقدسين؟!!

+ كم من الزمن يضيع منا بدون أن نستفيد
منه؟ أو ربما نقضيه فيما يضرنا، أو
يضر الآخرين أيضًا؟ ثم نأتي عند العمل
الروحي ولا نجد له وقتًا. يا للخسارة!!
أحيانًا يكون ذلك هروبًا من أداء القانون
إما بدافع الكسل أو لانشغالنا بأمور مرئية
تشبع ذواتنا أكثر.

+ الذي يقول: «ليس عندي وقت»، فليراجع

نفسه ويرى في أي شيء قضى وقته.

وهل هو أعظم من داود النبي والملك

الذي قال «سبع مرات في النهار سبحتك

على أحكام عدلك» (مر ١١٩: ١٦٤)،

«لا أعطي لعيني نعاسًا ولا راحة

لصدغي إلى أن أجد موضعًا للرب»

(مز ١٣٢: ٥، ٤)، «واحدة سألت من الرب

وأياها ألتمس أن أسكن في بيت الرب كل

أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب

وأتفرس في هيكله» (مز ٢٧: ٤).

+ يا حبيبي، هي حرب التأجيل والتسويف

وتضييع الوقت. ألا تعلم أن الوقت مقصر،

وأن الساعة التي تمر لا ترجع؟! لماذا تحرم

نفسك من التمتع بعشرة الله، وتجري وراء



آبار مشقة لا تضبط ماء، ووراء أمور لن
تشبعك ولن ترويك؟!.

+ حتى إذا قضينا الوقت في متطلبات
الخدمة الكنسية، فهذا لا يجب أن يطغى
على وقت أداء القوانين الروحية. يجب أن
نفعل هذه ولا نترك تلك. يجب أن نخدم
بيت الرب وأن نخدم رب البيت بالأولى.
وإذا كنا نخدم كمرثا يجب أن نكون في
أوقات أخرى جالسين تحت أقدام المسيح
كمريم، ونسكب على رأسه الطيب تعبيراً
عن محبتنا وشوقنا وامتناننا له.

+ احترس من أن تصير مثل الزوج الذي
يقضي وقته كله في العمل ولا يجد وقتاً
للجلوس مع زوجته والحديث معها ومع
أولاده. ألا يكون مقيمًا؟!.

هـ - الطياشة والسرطان:

+ وهى من أشهر الحروب التي قلما لا يشتكي منها أحد.

+ الذهن البشري لا يكف عن التفكير أبدًا،
فإما أن نقدم له أفكارًا روحية أو أنه سوف
يطيش في أي أفكار أخرى.

+ ربما تأتي الطياشة من تشتت الحواس،
أو عدم هدوء المكان، أو كثرة الانشغالات
والهموم والاهتمامات.

+ لذلك يجب أن نؤدي القانون في وقت
مناسب تكون فيه أفكارنا هادئة، وفي
مكان هادئ منعزل على قدر الإمكان، وأن
نجتهد في تركيز أفكارنا، وأن نصلي من
أعماق قلوبنا.



+ وحتى إذا صلينا بطياشة فذاك أفضل من
أن لا نصلي مطلقاً. إن استمرار الممارسة
يساعد على جمع الفكر. وينصح الآباء بأن
ننشغل بالقراءة أكثر في وقت التشتت لأن
القراءة تجمع الذهن أكثر من الصلاة. الأمر
يحتاج إلى تدقيق وإلى تركيز الذهن وعدم
الاستعجال وإلى الاستعداد الروحي قبل
أداء القانون.

و- الشطحات اليمينية:

+ يقول الكتاب المقدس «لكل من هو بينكم أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقل» (رو ١٢: ٣).

+ ويقول الآباء: «الطريق الوسطى خلّصت كثيرين».

+ الشطحات في الصلاة، الصوم، النسك، الميطانيات، وفي أية ممارسة روحية تتسبب في أضرار جسيمة، جسديًا، وروحيًا.

+ وربما يصل الأمر إلى الخيالات الشيطانية والرؤى الكاذبة، مما يؤذي العقل ويهدد سلامته. وفي كل ذلك يوسوس لنا الشيطان بأن لا نطلع أب الاعتراف على

شيء من هذا.

كما حدث مع أحد الرهبان الذي ظهر له الشيطان في صورة ملاك وامتدح أعماله وجهاده ووعدته بأنه سيأتي في اليوم التالي ومعه ملائكة آخرون لأخذه من أعلى سور الدير في مركبة نارية إلى السماء، وأقنعه بالأخبار اعترافه.

وفي اليوم التالي رأى الراهب المركبة النارية، ولما وضع قدمه فيها سقط من هذا الارتفاع وكاد يهلك لولا أن تداركته رحمة الله وقدم توبة قبل أن يموت.

+ لكن هناك فرقاً بين الشطحات اليمينية الناتجة عن الكبرياء، وزيارات النعمة التي تعتبر عملاً إلهياً.

+ لذلك يعلمنا الآباء أن الطاعة لأب الإعتراف
أفضل من الممارسات الأخرى الذاتية.

+ وكم من أناس جاهدوا وتعبوا كثيرًا ثم
ضاعوا من جرّاء الشطحات اليمينية، ذلك
أن جهادهم لم يكن «قانونيًا»، ولم يكن
محفوظًا بين يدي الاتضاع، الذي تعتبر
الطاعة أول علاماته.

+ كل نمو يجب أن يكون بتدرج ونظام
وخاضعًا لخبرة من هم متقدمون عنا.

ز- الشعور بالتعب :

+ التعب الجسدي من أقوى المشكلات في
الاستمرار في المسيرة الروحية.

+ أحيانًا يؤجل الإنسان قانونه الروحي إلى



نهاية اليوم، ثم يجد أن التعب والإرهاك
يحرمانه من أداء القانون.

+ وربما يكون التعب ناتجًا عن مرض
جسدي فيجب مراعاة ذلك في أداء القوانين
الروحية.

+ وأحيانًا يكون التعب الجسدي حربيًا من
الشیطان لتعطيل القانون. حيث يغمرنا
الشعور بالنعاس أو التعب خصوصًا أثناء
تلاوة المزامير أو قراءة الكتاب المقدس أو
حضور القداسات. وحالما ينجح الشيطان
في تعطيل القانون الروحي نجد أن اليقظة
قد دبت فينا ونشعر بحيوية وربما نواصل
السهر في أي شيء آخر لساعات.

+ هناك راهب كان كلما يقف للصلاة يشعر

بحمى وقشعريرة، ولكن عندما يثابر على الصلاة بإصرار تختفي كل تلك العوارض. فمن الواضح أنها حرب من الشيطان.

ح- تغيير الهدف أو ضياعه :

+ يحاول الشيطان أحياناً أن يجعل القانون هدفاً في حد ذاته. لذلك يصاب الإنسان بالإحباط إذا لم يكمل قانونه، أو يصاب بالكبرياء إذا التزم به.

+ أوروبما تدخل أهداف خاطئة في الموضوع. مثلما كان يفعل الفريسيون المراءون لكيما يراهم الناس ويمجدونهم.

+ وأحياناً يضيع الهدف تماماً من أداء القانون. فيتساءل المرء: لماذا كل هذا



التعب؟ وما الفائدة؟ ولماذا أغضب نفسي
على أشياء لا أحس بفائدتها؟ لقد صليت
كثيراً، وقرأت كثيراً، وعملت ميطانيات
كثيرة..... إلخ ولا أشعر بفائدة كل ذلك، إنما
يهيأ لي أنني لا أتقدم في حياتي الروحية،
بل وربما أتقهقر فيها.

+ والأخطر من ذلك أن الشيطان ربما يدفعنا
لأن نقارن أنفسنا بأهل العالم. هم يصنعون
ما يريدون وتبدو عليهم السعادة والمتعة،
وربما يبدو عليهم النجاح والازدهار... وأنا
هنا أغضب نفسي وأحرمها من مسرات
كثيرة، ولا أشعر بالفائدة.

+ فلنراجع باستمرار أهداف ممارسة القوانين
الروحية المذكورة سابقاً. ونؤكد أن الفوائد
الروحية من وراء القوانين، لكونها روحية

وغير ملموسة، يحاول الشيطان أن يشككنا فيها. هل كل ما لا ننظره لا نصدق؟ هل ينكر أحد فائدة الطعام لحياة الجسد لكونه لا يرى تلك الفائدة بعينه؟! هل ينكر فائدة العلاج وقت المرض لكونه لا يرى ذلك؟!

ط - إخفاء القانون :

+ أحياناً تحت حجة إخفاء القانون الروحي عن الآخرين تتعطل القوانين. ونصل بذلك لا إلى إخفاء القانون إنما إلى «إلغاء القانون».

+ من المهم أن يحاول المرء إخفاء قوانينه الروحية لئلا ينال مجداً من الناس. لكن إذا كان هذا الإخفاء سوف يؤدي إلى الإلغاء، هنا تكمن الخطورة.



+ وليس هناك معنى لإخفاء القانون وسط
جماعة كلها ملتزمة بنفس القانون (مثلاً
التسبحة، والمزامير، والنسك، والطاعة،
والفقر الاختياري..... إلخ وسط جماعة من
الرهبان كلهم ملتزمون بهذه القوانين).

+ لقد أوصانا الرب يسوع أن نفعل كل شيء
في الخفاء، لكن يجب أن نفعل. فإذا اتخذنا
هذه الوصية حجة أن لا نفعل شيئاً على
الإطلاق، فهذا خطأ وربما تكون حيلة من
الشیطان لتعطيل قوانيننا الروحية.

ي - الإيذاء الجسدي :

+ هذه الحرب تواجه المتقدمين جداً في
حياتهم الروحية.

+ إذ ربما يلجأ الشيطان إلى إلحاق الأذى بالجسد من خلال ضربات موجعة (كما حدث مع القديس أنطونيوس) أو أمراض معينة (كما حدث مع أيوب البار).

+ وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على غيظ الشيطان الشديد من أداء القوانين الروحية.

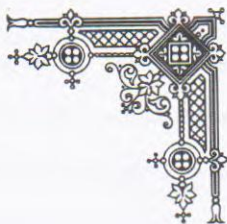
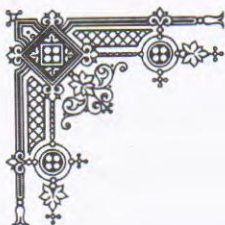
+ يقول القديسون: «حتى ولو لم تدرك أنت قوة الصلاة، فالشيطان يعرف ذلك ويخاف منها».

+ ويقول الآباء «إن الشيطان يلجأ إلى إلحاق الأذى بالجسد متى وجد العقل محصناً ولم يستطع إغواءه». فهذه الحروب تصيب المتقدمين في حياتهم الروحية.



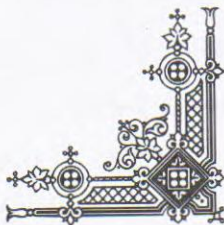
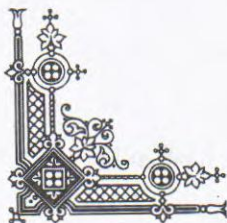
+ وكم من آباء مباركين أقرؤا بأنهم كانوا
يشعرون أثناء الصلاة بضربات موجعة
جداً على أماكن مختلفة من أجسادهم.





(١٠)

التدبير الروحي عند
مار إسحق السرياني



يقول مار إسحق:

«وهكذا فإن كل درجة في الحياة الروحية ترتبط بما قبلها ومنها تستمد قوتها وصمودها حتى تنتقل إلى درجة أسمى منها، فإذا فقد الإنسان واحدة من هذه الدرجات لا يمكن للدرجة التالية أن تثبت».

ويقول مار إسحق إن لكل تدبير روحي وقته المناسب:

«ألا تعلم أن لكل تدبير مقامه وزمانه؟... كل عمل له نظامه، وكل سيرة لها أوانها المعين، ومن يباشر الأعمال التي تفوق قدرته قبل أوانها لن يربح شيئاً بل سوف يلحق الضرر بنفسه».

نلاحظ هنا أهمية أخذ مشورة المختبرين

لضمان سلامة المسيرة الروحية. ولكيما
تصير هذه السيرة مرضية لله.

«لكل سيرة زمانها ومكانها وميزتها،
وبذلك يعرف ما إذا كانت هذه السيرة
مقبولة لدى الله أم لا. بدون ذلك تصير
أعمال الساعين وراء الله باطلة وبدون
فائدة».

ويقول مار إسحق أيضًا:

«أما السلام فينتج من حسن التنظيم،
والنور يتولد من سلام النفس، ومن السلام
يهب نسيم هادئ ونقي في الذهن».

«السبب الصغرة المستمرة هي قوة
عظيمة، كما أن قطرة الماء المتساقطة

باستمرار على صخرة صلبة تصنع فيها

~~حفرة».~~

~~أي أن التدبير الروحي مهما كان صغيراً~~

~~إذا تم في وقته وأخذ مداره المناسب بدون~~

تعجل وحافظنا على استمراريته تكون له

~~قوة عظيمة تنقل الإنسان تلقائياً، وربما~~

~~دون أن يدري، إلى تدبير أسمى وسيرة~~

أفضل. إذا كانت التداريب الجسدية أو

الرياضية تحتاج إلى وقت واستمرارية فكم

بالأحرى تداريب النفس على الفضيلة.

يقول مار إسحق: «كما أن النفس في

طبيعتها أسمى من الجسد، كذلك عملها

أسمى من عمله».

ويقر مار إسحق بأن الإنسان يحتاج



إلى المعرفة الروحية لكي يعرف هذه
الدرجات ويحافظ عليها. ويحتاج إلى
إنسان مختبر يقوده في مسيرته الروحية.
القانون الروحي - يقول مار إسحق -
يشبه سلسلة من التدبيرات والممارسات
المرتبطة بعضها ببعض، والتي إذا
انفردت إحدى حلقاتها تقطعت كلها. لذلك
يقدم مار إسحق النصيحة التالية لأحد
الإخوة الذي كان حارًا للغاية في تأدية
قانونه الروحي:

«أشفق على نفسك يا أخي ولا تكن قاسيًا
في تصرفك مع نفسك لئلا تعطل هذه
الحياة الصالحة التي اقتنيتها، وأصبحت
مثل سلسلة روحية متماسكة الحلقات.
انتبه لئلا يدفعك الشوق الزائد عن الحد

إلى مزيد من التعب فتتوقف المسيرة
كلها. كل باعتدال لنلا تضطر إلى الأكل
باستمرار فيما بعد. ولا تخط بقدمك أكثر
من قدرتك لنلا تنجز عن المسير كلية».

هنا يحذر مار إسحق من الضربة اليمينية
التي تدفع الإنسان إلى ممارسات روحية
أكبر من قامته الروحية، فتتوقف المسيرة.
العمل الصغير المستمر أفضل من أعمال
كبيرة سرعان ما تتوقف.

وينبها مار إسحق السرياني بأن هناك
تدابير تليق بأناس قديسين ربما لا تصلح
لك أنت شخصياً. لذلك لابد من استشارة
الأب الروحي قبل تنفيذ أي عمل روحي
كبير. هناك تدبيرات وقوانين يعطيها الله
لأشخاص بأعينهم لأداء مهمات محددة،



مثل الكرازة أو التبشير أو عمل الرعاية. لا ينبغي أن نجعل هذه التدبيرات عمومية وينفذها كل أحد. مثلاً عمل الرهبنة غير عمل الكرازة في العالم. فما ينطبق على معلمنا بولس الرسول لا يجب أن يأخذه الراهب المتوحد على نفسه. هذه سيرة تختلف عن تلك. يقول مار إسحق في هذا الصدد لراهب في الوحدة:

«لا تخلط العموميات بما هو خاص ولا يحدث إلا بتدبير خاص من الله... إننا لا نعرف بولس آخر استطاع أن يعمل ما عمله بولس الرسول. أرني بولس آخر وأقنعني».

لذلك يؤكد مار إسحق السرياني على فضيلة «التمييز» أو «الاستنارة الروحية» لكي يستطيع المرء تمييز هذه الأمور

بصورة صحيحة. هناك فضائل عامة
مثل المحبة والتواضع والعفة... إلخ. وهذه
تعتبر في كل الأحوال صالحة، ويجب
التمسك بها في كل الأوقات، أما التدابير
الخاصة مثل الصمت أو السهر أو التبشير
أو أعمال الرعاية... إلخ، فهذه تكون نافعة
لأشخاص معينين وفي أوقات معينة. ولا
يقتصر مار إسحق في نصائحه على الأمور
الخارجية المنظورة وكيفية إتمامها، إنما
يركز كذلك على الفكر الداخلي وراء بعض
التصرفات. فهو لا يكتفٍ مثلاً بالقول:
«لا توبخ أحداً على ذنب» بل يكمل: «إنما انسب
السبب إلى نفسك في كل شيء». وعندما
ينصح الراهب أن لا يختلط كثيراً بذويه،
يورد السبب ويقول: «لئلا يفتروا قلبك عن
محبة الله». كذلك عندما ينصح مار إسحق:



«ابتعد عن الشرثرة وكثرة الكلام»، ويوضح:
«لأنها تطفئ الحركات الروحية التي غرسها
الله في القلب».

وكأن مار إسحق يريد أن يقول أن
روح الفضيلة دائماً صالح وجيد،
لكن ترجماتها الخارجية في الأعمال
والسلوكيات اليومية يجب أن تتناسب
معقامة الشخص الروحية ومع وضعه
في ذلك الوقت. فالراهب الذي يحيا في
الشركة غير المتوحد غير المسيحي الذي
يعيش في العالم غير المبشر والكارز غير
المعلم غير الراعي. كل واحد من هؤلاء له
تدبيره الخاص وله قانونه الخاص وله
ما يناسبه وما ينميه في حياته الروحية،
وكل ذلك داخل إطار الفضائل المسيحية

التي هي صالحة وضرورية للخلاص.

يتحدث مار إسحق عن الصلاة، المزامير، الصوم، قراءة الكتاب المقدس... إلخ ويؤكد على ضرورة هذه الأمور، ولكنه يؤكد على أن تفاصيل الممارسة وطريقة التطبيق هي التي ربما تختلف من شخص إلى آخر حسب احتياج وقامة كل أحد. وهذا يقودنا مرة أخرى إلى التأكيد الشديد على التحلي بروح الإفراز والتمييز واستشارة الآباء الروحيين الذين اختبروا هذه الطرق وسلكوا فيها قبلنا.

هذه فكرة عامة عن القوانين الروحية، وعن جوانب مختلفة متعلقة بها. ويبقى المجال مفتوحاً أمام خبرات كثيرة في هذا الموضوع. لم نقصد إضافة معلومات إنما



تبسيط مفاهيم معينة متعلقة بالقوانين
الروحية. ويبقى الاختبار الشخصي هو
المحك لا محالة. فالحياة الروحية لا تُدرس،
ولكن تُعاش. هي خبرة حياتية شخصية،
وإن كانت تخضع لحدود قوانين متفق
عليها، لكن تبقى ملامحها متفردة حسب
قياس قامة كل فرد. لا بد من وضوح الهدف
للدفع بالمسيرة إلى الأمام. والقوانين
الروحية ليست أموراً نوّديها إنما نعيشها.
ليست أموراً جامدة صلبة، إنما هي حياة
متحركة مرنة. «الله روح والذين يسجدون
له ~~فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا~~»
(يو٤: ٢٤). إن الملائكة في السماء
يسبحون الله ويخدمونه في نظام وترتيب
وانتظام، لكن برغم ذلك يؤدون عملهم هذا
بكل فرح وحرية ولذة. بل وأن سعادتهم

الأبدية تكمن في أداء هذه الأعمال النابعة
من محبتهم الشديدة لله. القانون الروحي
هو تعبير عن الحب. الله نفسه يعبر عن
محبه لنا بنظام وترتيب وليس بتشويش
وعشوائية «لأن الله ليس إله تشويش بل
إله سلام كما في جميع كنائس القديسين»
(١كو ١٤: ٣٣).

ليعطنا الرب بركة الوجود الدائم في
حضرته من خلال هذه القوانين الروحية
المختلفة، وليقد حياتنا إلى التمتع الدائم
بعشرته. آمين.

صدر للمؤلف

كتب		
+ تربية الأطفال (ترجمة)	+ الحرارة الروحية (ترجمة)	+ الأبوة الروحية
+ الغني والفقير (ترجمة)	+ رسائل رهبانية (ترجمة)	+ طفولة يسوع المسيح (ترجمة)
+ الرسائل السبع للملائكة الكنائس السبع التي في آسيا		
كتيبات		
+ القوة	+ صلاة يسوع	+ القديس يوسف النجار
+ الرحمة	+ القانون الروحي	+ قصة السقوط في الخطية
+ التسليح	+ حياة القداسة	+ كرامة الجسد والأمراض
+ الشهداء	+ حياة التسليم	+ تأملات في مثل الابن الضال
+ الصمت المقدس	+ مجروح في بيت أحبائه	+ تحويل الصياد إلى تابع للمسيح
+ الغضب والإدانة	+ كرامة المرأة قديماً وحديثاً	+ مهارات في حل المشكلات الزوجية
نہذات		
+ محاسبة النفس	+ الصوم	+ اخلى ذاته
+ المسيح بكر القاتنين من الأموات		
من كنوز الآباء عن العذراء مريم		
تحت الطبع		
+ الأب إيسيدور	+ نساك معاصرون على جبل آتوس	+ باقة ورود من تعاليم الآباء
+ الصلاة الفردية	+ الأبوة الروحية في الرهبة	+ العظة على الجبل
+ ملح الأرض	+ أمهات راهبات من روسيا	+ شهداء روسيا
+ الأب غبريال		



هذا الكتيب ليس هدفه
 اقتراح عدد مرات معينة
 للممارسات الروحية ، إنما
 هو محاولة لتوضيح
 بعض الجوانب الهامة في
 تأدية القوانين الروحية .
 أما التفاصيل والأرقام
 فهي متروكة للأب
 الروحي حسب قامته ابنه
 وظروفه . ومتروكة
 لخبرة الأب الروحي ونعمة
 الإفراز والإرشاد التي
 يعطيها له الرب . فالعمل
 عمل روحي حياتي
 اختياري في المقام الأول

قرش جنيه

٤٠

تطلب من مطرانية الأقباط الأرثوذكس بالإسكندرية

موبايل : ٠١٢٢٤٦٢٦١٤١ - ٠١٢٢٧١٥٠٢٤٢